المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الخامس والاربعين

سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٤ — الموافق ١ شوال سنة ١٣٣٢

الحرب الاوربية الكبرى

تمهيد

من حين نشأ ابن ادم على وجه البسيطة الى الآن لم تقع بين شعوبه حرب كالحرب الحاضرة في اتساع نطاقها وعظم الاستعداد لها وما ظهر من الويلات على نوع الانسان ثم ما قد يترتب عليها من التغيير في تقسيم الممالك والبلدان

الممالك الاوربية الخمس الكبرى روسيا والمانيا والنمسا وفرنسا وانكلترا وثلاث من الممالك الصغرى الصرب والبلجيك والجبل الاسود كل هذه الممالك اشتركت في هذه الحرب الطاحنة فعلاً وخاضت غمارها في البر والبحر والهواء وقضت الحال ان تشاركها اليابان في اقصى المشرق وبلادنا المصرية الآمنة ولو كان اشتراكها بالاسم فقط

ولقد بدأت الممالك المتحاربة بالتأهب لهذا اليوم العصيب منذ سنين كثيرة وهي تؤخره جهدها كما يؤخر المريض عملية جراحية كبيرة قد تودي بحياته آملاً ان يشفى بدونها. ولكن التأهب نفسه انهك قواها وهيج اعصابها حتى صارت تتأثر لاقل مؤثر ولذلك لم يكد شاب صربي يطلق رصاصة على ولي عهد النمسا وزوجته حتى ارسل امبراطور النمسا مذكرته الى ملك الصرب وارسل معها بلاغة الاخير واتبعها بالسيف والمدفع وهو الامبراطور الشيخ الذي عرك الدهر وخبر نوائبه ولسان الحال يقول له وكل عاقل مثله ما قاله فيلسوف شعراء العرب زهير بن ابي سلمى المزني

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجَّم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضرَ اذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها ... وتلقح كشافاً ثم تحمل فتتئم
فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم ... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

اسباب هذه الحرب

لحروب الاوربية الدائرة رحاها الآن اسباب مهيئة واسباب مباشرة . اما الاسباب المهيئة فمنشأها التنافس والتزاحم بين الدول العظمى على النفوذ السياسي والفوز التجاري والاقتصادي والتناظر في احراز الثروة بزيادة الاملاك والمستعمرات والتوسع في بسط رواق السلطة والنفوذ . وقد كادت هذه الحرب تشب غير مرة بين الدول لهذه الاسباب ولكن الدول نفسها كانت تحجم عن خوض غمارها خوفاً من عواقبها الوخيمة وفراراً من الدمار الذي تجرهُ وراءها ومع ذلك كله لم تنتهِ توالي الاستعداد لها بزيادة الجيوش وتعزيز الاساطيل واقامة الاستحكامات والحصون وترقية فن الطيران وبالاجمال تقوية جميع معدات الفلاك والدمار

فامم اوربا كانت في الحقيقة واقفة على شفا حرف هارٍ لا يحول دون سقوطها في الهوة التي تحتهُ سوى توازن سريع الاختلال . وكانت تتبادل عبارات المودة والسلام والمحبة وانوثام وترفع عقيرتها بها لتخفي صوت شحذ السيوف التي كانت تصقل سرًّا استعداداً ليوم الصدام

اما السبب المباشر للحرب الحالية فاعلان النمسا الحرب على سربيا بتهمة اشتراكها في مقتل ولي عهد الامبراطور فرنز جوزف وانتشار السربيين الداعين الى الجامعة السربية والصقلبية في املاك النمسا والمجر ودسهم الدسائس لهذا الغرض

وقد اتفق جمهور الباحثين على ان النمسا جارت على سربيا في التهم وشددت عليها في المطالب من غير ان تتوخى اثبات التهم التي الصقتها بها ومن غير ان تدع للتوسط مجالاً تجعل به سربيا على الاذعان لمطالب النمسا المشروعة بحسب التعارف بين الدول

ولا يسع من يقرأ بلاغ النمسا الاول الى سربيا (وسننشر اكثرهُ في آخر هذه المقالة) الاَّ الحكم بان النمسا لم ترسلهُ وعندها شيء من الرجاء بقبوله لما تضمنهُ من المطالب فبعثتهُ عالمة انهُ رائد الحرب ومقدمة القتال اذ لا يعقل ان امة مستقلة مهما صغر شأنها وضعفت قوتها تصبر على هذا الضيم وتنام على هذه الاهانات فكان من ذلك الحرب الاولى بين النمسا وسربيا

كيف دخلت روسيا

تعترف الامم الصقلبية في البلقان وغير البلقان ان روسيا امها وحاميتها ولها عليها دالَّة الاولاد على الوالدة وهذا امر مشهور في اوربا حتى انهُ يعد من اوليات السياسة فيها وقد حاولت الدول فصل الامم الصقلبية عن روسيا فكانت تفلح ثم تحبط في مساعيها والروسيون يرون كل اهانة توجه الى شعب صقلبي موجهة اليهم والى حكومتهم . فالنمسا لما اعلنت الحرب

على صربيا كانت تعرف حق العلم ان روسيا مضطرة الى الانتصار لهذه المملكة السقلبية وان الشعب الروسي يرغم حكومته على هذا الانتصار اذ ترددت فيه فوراً من اضرام نار حرب اوربية لان اكثرهُ من السقالبة كما سيجيء

اما روسيا فقد حاولت في اول الامر اجتناب الحرب لعدم تأهبها لها ولصعوبة تعبئة جيوشها ونقلها الى الحدود الغربية على مسافات شاسعة وابعاد مترامية وكانت تفضل حتى حل العقدة بالمفاوضات السياسية فلم تفز بطائل من هذا القبيل لان المانيا كانت عالمة بما يدور وقد سبقت فاطلعت على بلاغ النمسا لسربيا كما اثبت السير ادورد جراي ذلك في خطبته التي خطبها في مجلس النواب (وسنأتي على ترجمتها) ووافقت عليهِ اي انها ايدت النمسا في ما كانت ترمي اليهِ وهي عالمة ان روسيا لا تصبر على اذلال سربيا وانها جاهرت بذلك صريحاً

ولا عبرة حقيقة في هذه الاحوال اية دولة من الدولتين تبادئ الاخرى باعلان الحرب ما دامت الحرب واقعة بينها ولا مناص منها وانما يهم ذلك فقط لاعتبارات سياسية نظرية كاعتبار ايطاليا نفسها في حل من نصوص المحالفة الثلاثية لان النمسا تعلمها على ما كانت تنويهِ ولا اخذت رأيها في البلاغ السربي قبل ارساله

فروسيا دخلت دائرة النزاع انتصاراً لسربيا وقد كانت النمسا والمانيا تعلمان بان دخول روسيا محتم عليها عند ما افرغا البلاغ الذي أُرسل الى سربيا فكأنما ذلك البلاغ الى الدولة الصغيرة كان ايضاً بلاغاً الى الدولة العظيمة وبلاغاً الى دولة فرنسا حليفتها وعدوة المانيا القديمة

ومن غريب ما يذكر في هذا المقام ان الحرب اعلنت بين المانيا وروسيا قبل ان تعلن بين النمسا وروسيا

كيف دخلت فرنسا الحرب

فرنسا حليفة روسيا والد اعداء المانيا لها عليها ثارات قديمة ترجع الى حرب ١٨٧٠ حينما تغلبت المانيا على فرنسا ودخلت جيوشها باريس وافتضت منها ولايتي الالزاس واللورين وفرضت عليها اعظم غرامة حربية وهي مئة مليون من الجنيهات

فلما اعلنت الحرب بين المانيا وروسيا اضطرت فرنسا الى دخولها بداعي ما بينهما من التحالف اولاً وحرصاً على سلامتها ثانياً اذ لو خلفرت المانيا والنمسا بروسيا وقهرتا جيوشها لما قام لفرنسا قائمة بعد ذلك اذ المعروف والمشهور ان فرنسا لا تقوى على محاربة تينك الدولتين وقد لا تقوى على محاربة المانيا وحدها لتفوق المانيا عليها في عدد الجنود وكثرة الاساطيل

ان المحالفة بين فرنسا وروسيا مكتومة قال السير ادورد جراي انها اكثر من نفسها لا

تعرف عصومها وهي صديقة الدولتين الحليفة ولكن المعروف ان الدولتين تحالفتا دفعاً للخطر الالماني فمحاربة المانيا لاحداهما تقضي على الاخرى بالانتصار خليفتها دفعاً لذلك الخطر

دخول انكلترا الحرب

كان الانكليز اصدقاء الالمان وحلفاءهم في عهد نبوليون وقد حاربت جنودهم جنباً الى جنب في اكثر من معركة وانتصرت على نبوليون في معركة وترلو الشهيرة وظلت الصداقة مستحكمة بين الدولتين الى ما بعد حرب السبعين.

فلما عظم شأن المانيا بعد الاتحاد الجرماني وتأسيس الامبراطورية الالمانية وارتفعت الصناعة في المانيا وزادت الثروة فيها وقويت روح الوطنية والعاصمة الالمانية شرعت المانيا في بسط نفوذها الاقتصادي في الاقطار واخذت ترسل مصنوعاتها الى اسواق العالم القريبة منها والبعيدة عنها وفي جملتها انكلترا نفسها ورأت ان تجارتها لا تروج الرواج الكافي الاَّ اذا كان لها مستعمرات واملاك تباع المصنوعات الالمانية في اسواقها وترسل حاصلاتها الى مصانع المانيا ولكنها رأت ايضاً ان معظم الاملاك في افريقية واستراليا وآسيا وجزر البحار بات سبق قبضة الانكليز والفرنسويين والهولنديين والروسيين والبرتغاليين وان لا سبيل لها الى امتلاك الاملاك الاَّ اذا انتزعت بعضها من اصحابها

فجدت اولاً في توسيع نطاق تجارتها واخذت ترسل البواخر الى شاسع الاقطار حاملة تاجرها ومصنوعاتها ولما كانت التجارة البحرية لا تنمو ولا تقوم لها قائمة من غير اسطول يحميها شرعت في تعزيز سفنها الحربية فادركت شأواً بعيداً حتى صارت الدولة البحرية الثانية في اوربا وتقدمت على فرنسا وايطاليا ولم يعد لها ند سوى انكلترا سيدة البحار ومالكة الاقطار وصاحبة المتاجر الواسعة العظيمة

كل ذلك يجري والانكليز يحاولون تخفيف عبء التسليح باقناع المانيا بوضع حد لما تنشئهُ الدولتان من المدرعات الجديدة مع حفظ نسبة معينة بينهما حتى لقد اقترح المستر تشرشل قائد بحرية انكلترا ان تتريح الدولتان سنة كاملة فلا تبنيا فيها مدرعة واحدة ولكن المانيا رفضت هذا الاقتراح ساخرة به وبمقترحه واجابت بلسان صحفها انها لا تسمح لاحد بالتعرض لامورها الداخلية

واخيراً رأت انكلترا ان السبيل الوحيد لحفظ السلم بينها وبين المانيا والمحافظة على مقامها البحري والتجاري انما يكون بتعزيز اسطولها تعزيزاً يجعلهُ من القوة بمكان تتحاماهُ المانيا

ولا يخفى ان السلم كان في مصلحة انكلترا فهي الغنية بالمال والمستعمرات والاملاك

والتاجر والصانع ومن كان هذا شأنه يكره الحرب ويطلب السلم بكل قواه لان السلم نفع له والحرب خسارة محققة عليه

فزاحمة المانيا لانكلترا على نحو ما تقدم اوقعت الجفاء بين الامتين وغرست بذور الكره والبغضاء بينهما فبات التنافس على التجارة والمستعمرات والاملاك تناز ينهما للبقاء

لم تكن انكلترا مقيدة مع فرنسا بمحالفة تجبرها على الانتصار لفرنسا اذا اشتبكت في حرب مع المانيا ولا بعد ان المانيا فطنت الى هذا الامر وحسبت ان اعلان الحرب على فرنسا لا يكفي لجر انكلترا الى القتال فعمدت الى خرق حرمة حياد البلجيك واستقلالها وهي تعلم انها هي وانكلترا مقيدتان بمعاهدة رسمية بانهما تحافظان على استقلال البلجيك وسلامة املاكها كما بيّن السر ادوارد جراي ذلك في خطبته المشار اليها آنفاً فاغارت بجيوشها على البلجيك ونقضت المعاهدة التي امضتها مع انكلترا وسواها وابت ان تلبي طلب انكلترا باحترام حياد البلجيك كما فعلت فرنسا

ومن امهات المبادئ الحربية والسياسية عند الانكليز وجوب بقاء البلجيك وهولندا مستقلتين حرصاً على سلامة انكلترا نفسها ولا يزال الانكليز يرددون قول نبوليون « ان من يملك انفرس (في البلجيك) كمن يصوب طبنجة الى رأس انكلترا »

فالعلة المباشرة لدخول انكلترا في الحرب الحالية اغارة الالمانيين على البلجيك وهم عالمون انهم بعملهم هذا يضطرون بريطانيا العظمى الى محاربتهم . وسواء فعلوا ذلك عمداً كما يظن الانكليز او اتفاقاً ظناً منهم ان البلجيك تذعن لمشيئتهم فتسمح لجيوشهم باجتياز ارضها الى فرنسا وبذلك تسقط حجة انكلترا عليهم فان اقتحامهم ارض البلجيك كان السبب المباشر الذي حمل انكلترا على اعلان الحرب على المانيا فاشتد ساعد فرنسا وروسيا بها وتقوت عزائمهما

ثم ان جريدة التيمس تعد لسان حال الحكومة الانكليزية والشعب الانكليزي وقد انشأت في ٣١ يوليو الماضي مقالة بسطت فيها الاسباب التي تضطر انكلترا الى خوض غمار الحرب الاوربية وقد اقتطفنا منها ما يلي

استهلت التيمس مقالتها بقولها « اذا نشبت الحروب والنوازل واشتدت البلايا وارزايا فعلى الامم ان تسلم قيادها الى اقوى سليقة عثر البشر عليها وهي سليقة الدفاع عن الحياة وحفظها كما يفعل الافراد حين تحيق المخاطر بهم »

« ان اركن الاكبر في سياسة بريطانيا العظمى الخارجية هو الاعتراف بان انكلترا جزء من اوربا ولو كانت جزيرة يفصلها البحر عن تلك القارة . وكثيراً ما ادى اغفال هذه الحقيقة

الى عواقب وخيمة . خذ مثلاً لذلك حرب السبعين حينما تخلت انكلترا عن فرنسا وتركت المانيا تظفر بها وتجزئها فان انكلترا دفعت ثمن تخليها هذا غالياً جداً اذ اتفقت على التسليح وتعزيز الاساطيل بعد تلك الحرب . وهنالك ايضاً شاهد آخر في حرب البوير فقد كانت سياسة اللورد سلسبري الخارجية قائمة على مبدإ « العزلة التامة » فلا نزاع بنا النوارل في جنوب افريقية بنا ولا صديق لنا في اوربا فلم نتج من خطر اعتداء امم عليها وتألبهم لمهاجمتنا الاّ لان امبراطور روسيا ابى الموافقة على محاربتنا ولان مسألة الالزاس واللورين كانت تحول بين اتفاق المانيا وفرنسا علينا

« ظهر لنا بعد ذلك ان سياسة « العزلة التامة » صارت من المخيلات السياسية والحربية الاّ اذا ابقينا جيشنا واساطيلنا من القوة منزلة نستطيع بها رد هجوم دولة او بضع دول علينا برّاً وبحراً

« وقد تجلت هذه الحقيقة لذلك اللورد نفسه بمشورة نظارة لانقاص عدد من يحتمل ان يكون عدواً لنا من شعوب اوربا ولم يخطر بباله ولا ببال اللورد لنسدون ناظر خارجية انكلترا السابق ان يستعيننا بصداقة بعض الامم في اوربا لاجل الاعتداء على امم اخرى »

ثم اشارت التيمس الى ابرام الحالفة بين بريطانيا واليابان وعقد الاتفاق الودي بين انكلترا وفرنسا واضطرارها الى مساعدة الفرنسو بين والاّ دارت الدائرة عليها وقالت اخيراً

« ان من اوليات حفظ بقائنا وجوب المحافظة على سلامة البحار الضيقة التي تحيط ببلادنا وهذه السلامة اثمن ما نقتنيه ففرنسا لا تهدد سلامتنا ولكن فوز المانيا على فرنسا يوقعنا في خطر لا مفر منهُ . وهب ان الاساطيل الالمانية ظلت واقفة لا تتحرك فاحتلال الجيوش الالمانية للبلجيك وشمال فرنسا ضربة قاضية على سلامة بريطانيا العظمى لاننا نضطر حينئذٍ ان نحمل عبء اسطول اقوى جداً من الاسطول الالماني وجيش بكافئهُ قوة ونبيت وحدنا مجردين عن الاعوان والحلفاء والاصدقاء وهو عبء يؤدي الى خرابنا . فغريزة حفظ البقاء تضطرنا ان نرفع ساعدنا ونضرب اشد ضربة نستطيعها دفاعاً عن سلامتنا وسلامة اصدقائنا » انتهى

دخول الدول الصغيرة

اما الدولتان الصغيرتان السرب والبلجيك فاسباب دخولها في الحرب ظاهرة مما تقدم واما الجبل الاسود فليس لهُ شأن كبير لصغره وقلة جيشهِ ولكن سكانهُ من السربيين اصلاً واذا تغلبت النمسا على السرب ونزعت استقلالها قضت عليهِ فلا بدَّ لهُ من الانتصار للسرب حفظاً لكيانهِ

بلاغ النمسا النهائي

تعترف صربيا انهُ لم يكن في ما حدث في البوسنه (من اعلان ضمها الى النمسا والمجر) شيء من التعدي على حقوقها وانما تجري بحسب القرار الذي تقر الدول المضمى عليه طبقاً للمادة ٢٥ من معاهدة برلين

وعلاوة على اضاعة صربيا الى مشورة الدول العظمى فانها تعد بالكف عن خطة الاحتجاج والمعارضة التي اتبعتها منذ شهر اكتوبر الماضي وتعد ايضاً بتعديل منهجها السياسي ازاء النمسا والمجر فتعيش معهما في المستقبل على خير شروط الصداقة والجوار

ولكن تاريخ السنوات الاخيرة ولاسيما الحوادث المؤلمة التي حدثت في ٢٨ يونيو الماضي دل على وجود حركة في صربيا الغرض منها فصل بعض مقاطعات من النمسا والمجر عنهما

وظهر جلياً من اعتراف الجناة في جناية ٢٨ يونيو (اي مقتل الارشدوق ولي العهد) ان تلك الجناية دبرت في بلغراد وان الجناة تلقوا السلاح والقنابل من ضباط وموظفين ينتمون الى جمعية نارودنا ابراما الصربية وان ولاة الامور على الحدود الصربية هم الذين سهلوا ارسال الجناة ونقل السلاح الى البوسنه

فبعد هذه النتائج التي اسفر التحقيق عنها لا يسع حكومة النمسا والمجر ان تظل ملازمة خطة الصبر وطول الاناة التي جرت عليها منذ بضع سنوات ازاء حركات من بلغراد امتدت الى املاك النمسا والمجر

فهذه النتائج تضطر حكومة النمسا الى وضع حد للحركات والمساعي التي تهدد راحة المملكة وسكينتها ولهذا الغرض ترى الحكومة انها مجبرة على ان تطلب من حكومة صربيا عهداً رسمياً قاطعاً بانها تكبح جماح هذه الحركة الكثيرة الخطر الموجهة الى النمسا والمجر ولقمع المساعي المبذولة لانتزاع جانب من املاك النمسا والمجر وان تعد بقمع هذه الدعوة الجنائية الارجافية بجميع ما لديها من الوسائل

وعلى الحكومة الصربية ان تنشر في جريدتها الرسمية التي تصدر في ٢٦ يوليو البلاغ التالي ليضطلع عهدها بالصبغة الرسمية وهو

« ان الحكومة الصربية تستهجن الحركة الموجهة الى النمسا اي المساعي المبذولة لانتزاع جانب من املاكها وتأسف اشد الاسف لما ادت اليه هذه النزعة الجنائية من العواقب الوخيمة

« ان الحكومة الصربية تأسف لان بعض الضباط والموظفين الصربيين اشتركوا في هذه الدعوة فعرضوا بعملهم هذا الخطر علاقات حسن الجوار الحسنة التي وعدت صربيا بمراعاتها في

بلاغها المؤرخ في ٣١ مارس سنة ١٩١٩

« ان الحكومة السرية تعارض وتستهجن كل مسعى يقصد به تحكيمها في مصير الشعوب الخاضعة للنمسا والمجر في اية جهة من جهاتها وترى من الواجب عليها ان تنبه الضباط والموظفين وسكان سربيا باسرها تنبيهاً شديداً الى انها تعامل بالشدة المتناهية كل من يسعى هذا المسعى او يقوم بحركة من هذه الحركات وانها تبذل جميع ما لديها من القوى في قمع هذه الحركات ومنعها »

وينشر هذا البلاغ في الوقت عينه على الجيش في امر عسكري يمضيه جلالة ملك سربيا وينشر في الفازتة العسكرية ايضاً

وعلاوة على ما تقدم يجب على الحكومة السربية ان تعد وعداً قاطعاً بأن

(١) تضبط كل مطبوع او منشور يثير الاحتقار او الحقد على النمسا والمجر ويكون الغرض منه الحث على الاعتداء على سلامة املاكها

(٢) تحل في الحال جمعية نارودنا ابرانا وتحول دون جميع ما عندها من وسائل نشر دعوتها وتفعل مثل ذلك بسائر الجمعيات التي جعلت ديدنها اثارة الخواطر على النمسا والمجر

وتتخذ الحكومة السربية التدابير اللوافية لمنع الجمعيات التي تحلها من استئناف عملها باسماء او صور واشكال اخرى

(٣) تزيل من المدارس كل ما يؤدي الى انتشار الدعوة المتقدمة سواء كان ذلك في المعلمين او في طرق التعليم

(٤) تعزل من الجيش والادارة جميع الضباط والموظفين الذين يثبت عليهم نشر الدعوة على النمسا وتحفظ النمسا لنفسها الحق بارسال اسمائهم الى الحكومة السربية

(٥) تقبل الاستعانة باعوان حكومة النمسا لتتبع الحركة الموجهة الى النمسا

(٦) تشرع في تحقيق قضائي مع انصار مؤامرة ٢٨ يونيو الذين يقيمون في بلاد سربيا ويشترك في هذا التحقيق مندوبون من قبل حكومة النمسا المبحث عنهم

(٧) تقبض في الحال على التومندان فويا تنكوستش والمدعو ميلان سيجانوفتش الموظف في الحكومة السربية وقد اسفر تحقيق جناية سراييفو عن اتهامهما بالاشتراك في المؤامرة

(٨) تمنع بالطرق اللوافية اشتراك الموظفين السربيين في تهريب السلاح والمفرقعات الى ما وراء الحدود وتعاقب باشد العقاب الموظفين القائمين باعمال الحدود في شاباتز وزورنكا والمتهمين بمساعدة جناة سراييفو بتسهيلهم لهم اجتياز الحدود